مورفولوجية مدينتين من العصر العباسي الكوفة وسامراء

م.م. ندى جواد محمد علي
جامعة بغداد/ كلية العلوم

مقدمة

ترتبط مورفولوجية المدينة بجوانب مادية واخرى حضارية والجانب الاول يمثل

أ- موضع المدينة والخصائص الطبيعية والمادية.

ب- ويمثل خطة المدينة.

ج- وطرز مبانيها [1].

ويعد تاريخ العراق الحضاري وتراثه جزء من التاريخ العربي الاسلامي فالطراز والطرق العمارة العربية أنعكس على الاساليب نشوء العمارة في العراق فأزدهر وتطور هذا الفن المهم والذي يمثل صفحة مشرقة من صفحات العمارة العربية .

وقد كان لقادة العرب المسلمين من خلفاء وملوك دور فعال ومهم في نشوء المدينة العربية وديمومتها ،فجاء دورهم الكبير في صنع القرار والمشاركة في التخطيط والاشراف على التنفيذ وخصوصا تلك التي اتسمت بطابع المباني العامة كالمساجد الجامعة والمدارس ودور الامارة ومن ثم يأتي دور السكان من عامل وبناء ونجار ونحات والنقاش وخطاط جعلت من تلك الاعمال الكبيرة تخلد صانعيها وتبقى أثر يضفي للحضارة الاسلامية صفة البقاء.

أن البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة يدعو اليها الترف والدعة وذلك متأخر على البداوة ومذاهبها [2]،وجاء هذا البحث ليعطي صورة واضحة عن جزء صغير لحضارة عريقة عن مدنتين عراقيتين فالاولى مدينة سامراء والتي نشأة وتطورت في العصر العباسي وانتهى دورها لتبقى آثارها شاهد للعيان لحضارة اسلامية مميزة بأصالتها.

والثانية مدينة الكوفة والتي نشأة على أنقاض مدينة الحيرة وأزدهرت وتطورت واستمرت تقدم خدماتها الى يومنا هذا.

مورفولوجية مدينة سامراء في العصر العباسي

نشأة المدينة

لدراسة أي مدينة لابد من التعرف على الأساس الجغرافي الطبيعي والبشري لها ،لأن المدينة بحد ذاتها تعد إحدى الظواهر البشرية التي قامت بفعل تأثير وتفاعل مجموعة من العناصر، فتلك المقومات لها دور في تحديد حجم وأسلوب وتنظيم المدينة وتفرض على المخطط الحضري مراعاة تلك العناصر في نوعية وشكل العمران فضلا عن الارتباط الوثيق بالمقومات البشرية من حجم السكان ووظائف المدينة المتعلقة بالفعاليات والأنشطة الاقتصادية فتلك الخصائص لها الدور في تطور ونمو واستمرار المدينة،وسنعرض تلك الخصائص بصورة موجزة ، ومدينة سامراء تقع في ارض صحراوية ترتفع عن مياه النهر بعدة امتار وتمتد بمحاذاة نهر دجلة من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب والذي يؤمن الاتصال بالمدينة عن طريق شحن البضائع التجارية والمؤن وتوفير قنوات الري [3] وهي بذلك اتخذت شكلا مستطيلا[4].

إما الجانب الثاني فقد تميزت المدينة الإسلامية بمورفولوجية معينة ميزتها عن غيرها من المدن القائمة خارج نطاق دائرة انتشار الاسلام [5]،ولعل تحليل مورفولوجية أي مدينة يكون بتحليل خطة المدينة وأكثر مايلفت النظر في أي خطة هي الشوارع كعنصر اول والمباني ثانيا والعنصر الثالث في المورفولوجية هي الوظيفة التي تقدمها المدينة والتي تنتج من العنصرين السابقين [6].

ان النظام الحضري للمدينة العربية الأسلامية المعتمد في تخطيطها وتركيبها الداخلي هو:

1-المسجد الجامع وهو المهم لئن وجوده يعني وجود مدينة وأزالته تعني أزالة المدينة

2- دار الأمارة

3 - السوق

4-الشوارع والطرق

5-القطاعات السكنية

6-الأسوار

7-الخدمات السائدة في المدينة والتي تشمل

أ-ماء الشرب ب-الإنارة والإضاءة ج-النظافة ء- الحمامات هـ-المقابر ز- مراكز حفظ الأمن ح- المراكز الثقافية ط-المراكز الترفيهية.

فأن تخطيط مدينة سامراء يدل على براعة فائقه في هندسة المدن وتخطيطها،وفيه كثير من المبتكرات [7]،وسامراء تتمتع بأهمية خاصة لكونها عاصمة الخلافة العباسية والتي امتدت من(221هـ-835م) عندما عزم المعتصم على هجر العاصمة بغداد فأختار موضع سامراء للبناء فيه واعماره [8]، حيث أنها بنيت لتكون عاصمة للامبراطورية العباسية، فمكانها الستراتيجي الذي يضعها في موقع ملائم للسيطرة على الاجزاء المختلفة من الامبراطورية فضلاً عن كثرة المياه التي تحيط بها .

حيث يحدها نهر دجلة من جانبها الغربي ابتداء من اقصى موضعها شمالاً حتى حدودها الجنوبية ،كما ان نهر النهروان بفرعيه يحف بها من جانبها الشرقي مما يعطي للموقع اهمية عسكرية عظيمة فضلاً عن سهولة الاتصال السياسي والتجاري بكل اجزاء الامبراطورية التي امتدت الى(279هـ-892م) حين نقلت الخلافة الى بغداد في عهد المعتمد [9].

ومما يلفت النظر في سامراء انها اقدم مدينة عربية اسلامية بقيت آثارها واضحة وبقاياها شاهدة على ان تخطيطها قد خضع لنظم هندسية وتصميمات مدروسة لا تكاد تضارعها في ذلك أية مدينة أخرى من المدن القديمة المعروفة [10].

وجاءت شهرتها لما تمتعت بها من المساحة الواسعة ممتده على طول نهر دجلة بمسافة تسعة كيلو مترات تقريبا جنوب المدينة الحالية وبحوالي خمسة وعشرون كيلو مترا شماليها وإذا ما أضفنا الى هذه المساحة مساحة حديقة الحيوانات المتوكل والتي تقع في أقصى الحدود الجنوبية وهي نحو خمسين كيلو مترمربع ،وكذلك مساحة منطقة القادسية الواقعة بجوار الحديقة المذكورة وهي حوالي سبعة كيلو مترات مربعة جاز لنا ان نقدر مساحة مدينة سامراء العباسية بحوالي 167 كيلو متر مربعا [11]. ولو أضفنا الى ذلك مساحة معسكر الاصطبلات القائم على ضفة نهر دجلة اليمنى والتي تقدر بحوالي ثماني وخمسون كيلو متر مربع ،امكننا اعتبار مجموع مساحة مدينة سامراء العباسية 225 كيلو متر مربع [12]، هذا فضلا عما احتوته المدينة من قصور وحدائق ومشاتل على الجانب الايمن لنهر دجلة فلا عجب ان تكون من اكبر مدن العالم القديم والحديث [13].

والمشاهد لتلك المدينة يتجلى بوضوح دقة العمارة والتخطيط الهندسي من خلال تقسيم المدينة الى أحياء وقطاعات واحكمت اسوار القطائع و كل حي يحوي على قصور ومنازل ومساجد واسواق ودواوين الدولة والتي استخدمت الاشكال الهندسية في التصميم مثل المربع والمستطيل والدائرة وشبه المنحرف مع استعمال القباب والاقواس والمرايآ في البناء، كمامدت

الشوارع ذات الاشكال المتوازية واستخدمت التدرج في عرض الشوارع والذي يتراوح من (100م-50م-35-15م-5م) فضلا عن شوارع ثانوية لتربط مع الشوارع الرئيسة [14]. وقد مرت مدينة سامراء بمرحلتين في تاريخ انشائها وتأسيسها تمثلت الاولى في عهد المعتصم وأبنه الواثق والتي اظهرت بعض الاعمال العمرانيه من امتداد الشوارع الرئيسة المتوازية والمتربطة بشوارع ثانوية ومن اهمها شارع السريجة والذي يمتد وسط المدينة من الشمال الى الجنوب وعلى امتداد هذا الشارع نجد قطائع القواد واصطفت الاسواق ومنازل الناس يمنة ويسرة وشارع ابي احمد بن الرشيد والجسر الاول برغامش التركي وشارع الحير الاول وشارع الاسكر والحير الجديد وشارع دجلة والذي يرتبط بجسرمع نهر دجلة والذي امتد فيه البناء والعمران الغربي [15] فضلاً عن دار الخليفة والقصر الهاروني ومشروع نهر الاسحاقي وقبة الصليبية وهي قبه مثمنة الشكل فوق ضفة نهر الاسحاقي اليمنى وتتوسط القبة قاعة مربعة يحيط بها رواق مثمن ومعسكر الاصطبلات وقصرالحويصلات والتي تقع على مسافة 6 كم الى الشمال من قصر العاشق والذي بناه المعتصم على نهر الاسحاقي ويطلق عليه تسمية قصر الجص [16].

وجاءت المرحلة الثانية والتي شملت التوسعات العظيمه في عهد المتوكل والذي ابرز اهتماما وولع بالعمران وتمثلت بالقصور الفخمة مثل قصر الدكة وبركة البحتري وقصر المنقوروبلغ محيط سوره الخارجي 1200متر [17]، ذو ابراج بقاعه كبيره وزخارف جصية جميلة وقصر العروس والمختار والغريب والصُبح والمليح وقصر بستان الإيتاخية ومدينة المتوكلية(الجعفرية) والتي بنيت عام (245هـ-859م) والتي انشائها في اقصى الشمال في بشوارع مخططة جديدة والمتمثل بالشارع الاعظم الذي يربط مدينة المتوكلية بمدينة سامراء وبطول 12كم وبعرض 100 متروجعل لها سور عظيم يحيط بها ويفصلها عن مدينة سامراء [18] فضلاً عن حير الحيوانات وتل العليق والذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من دار الخليفة وهي ارض منبسطة ارتفاعه نحو 25متر وقطره السفلى نحو 200متر وتحيط به حفرة على هيئة خندق عمقه 3متر وتوجد حول الخندق بقايا سور قطره 400 متر وفي السفح الشمالي الشرقي للتل طريق منحدر واطلق عليها تل العليق والغرض من هذا الارتفاع كان للتفرج على حلبة السباق والتي تبدأ من جهتها الجنوبية، ويرى الناظر مساحات واسعة بعضها مستدير وبعضها الاخر يمتد الى مسافات طويلة وتؤلف ثلاث حلبات [19]

إن اهم مايميز المدينة الاسلامية دار الخليفة وهو من اهم الابنية وقد شيده المعتصم على الجرف المطل على دجلة والمعروف باسم باب العامة , وتبلغ واجهته من جهة النهر نحو 700متر وطوله لايقل عن 300 متر وتحوى قاعة التشريفات والأواوين الثلاثة في المدخل المطل على الشاطئ والذي يظهر آثار درج عريض كان يصل القصر بشاطئ النهر طوله 60 متر كما يشاهد اسفل الدرج بقايا بركة كبيرة طولها 125متر يظن انها كانت متصلة بساقية تمتد الى مجرى دجلة القديم يبلغ طولها 400متر [20] وكانت هذه الأواوين تعرف بباب العامه حيث كان يجلس للناس والايوان الاوسط هو اكبرها طوله 17,5متر وعرضه 8 متر وعلو قاعدته12متر والحمام وبيت الحريم كما عثر على آثار كثيرة نفيسة وصور جدارية بديعة ومواد خشبية.

وأن من معالم المورفولوجية تحقيق فكرة وجود الجامع الكبير في المدينة بالرغم من كثرة المساجد الصغيرة،وجامع سامراء مسجدا جامعاً في طرق السوق وهو من أهم الآثار العباسية والذي يظهر بجلاء الجهود العظيمة التي بذلت في سبيل إنشائه واظهاره بالشكل الذي يليق ومكانة العاصمة العباسية آنذاك ،فأسس المعتصم الجامع عام (221هـ-836م) وأختطت من حوله الاسواق والدور والقطائع وبقي حتى ايام المتوكل حيث وجد الجامع صغيراً لايتسع عدد المصلين لذلك بدأ بأنشاء جامع ضخم في عام (234هـ/849م) في موضع واسع خارج المنازل عند أول الحير ولايتصل به شيء من القطائع والأسواق، وقد أتقن بناءه وأحكم تشييده وفرغ من بناءه عام (237هـ/852م) [21] ويقع المسجد في الجنوب بطول240 مترا وعرضه 160مترا وعلو جدرانه 10 امتار وثخنها لايقل عن 2.65متر ويدعمها من الخارج ابراج نصف دائرية وعددها 40 برج ، [22] وعلى بعد 25 مترا من الضلع الشمالي وعلى محور الباب الشمالي من المسجد تقع المئذنة الشهيرة بالملوية والتي بنيت بالآجر وتقوم على قاعدة مخروطية مربعة تستند على قاعدة مربعة ضلعها 33متر ويرقي الى قمتها بمرقاة حلزونية عرضها 2,30متر تدور حولها من خارجها باتجاه معاكس لدوران الساعة خمس مرات ويرتفع بواسطة ممر ملتوي من خمس دورات تترك اليد اليسرى الى الحائط وتنتهي بغرفة مستديرة ارتفاعها

ست أمتار ولها باب صغير في جهتها الجنوبية، وهي برج صغير في داخله بضع درجات وقيل ان هذا مكان المؤذن [23].

ويبلغ أرتفاع الملوية 52 مترا عن سطح الارض وقد بنيت على غرار الابراج البابلية[24] وقد انتهى العمل بها عام (237هـ/852م) كما بنى جامع ابي دلف في نهاية الشارع الاعظم وعلى

مسافة 22كم من سامراء الحديثة وقد اخذ شكل مستطيل وفي وسطه صحن مكشوف وقد شيدت أروقته بالآجر والجص اما سور الجامع باللبن وفي اركانه الاربع وجدت الابراج المستديرة ويدعم كل جانب من الجانبين الشرقي والغربي عشرة ابراج نصف دائرية واحتوى الجامع على 18باباً ثلاثة منها في الجهة القبلية وخمسة في كل ضلع من الاضلاع وجاءت المئذنه مشابه للملوية وهي اصغر حجماً إذ يبلغ علوها 19 متر ويرقي اليها بسلم حلزوني يدور ثلاث دورات[25] .

ومن القصور ذات الشهرة والتي بنيت في عهد المتوكل تم بناء قصر الحير ببركته الجعفرية ويقع على ضفة دجلة في شمال السور الداخلي لمدينة المتوكلية في موضع الماحوزه في الزاوية التي يكونها نهر دجلة وجلب اليهما الماء من نهر الرصاصي [26] .

وانتقل اليها المتوكل مع كافة الحاشية وجميع دوائر الدولة وعامة الناس اليها ،ويتألف المجمع السكني لسامراء من ثلاث مجموعات : قصور الخلافة وقطائع الامراء ومساكن اهل المدينة ، حيث يتقدم القصر منها مداخل ذات ابواب ضخمة عالية واقبية واسعة تتشابه وراء بعضها [27] ، وتأتي بعدها قاعات العرش والاستقبال واجنحة الحريم واهل بيت الامراء وتحيط بها دور المال وثكنات الحرس والجنود والاسطبلات وخزائن السلاح ومنازل الحاشية وقصور الوزراء والحمامات والاسواق ويحيط بالمدينة سور كبير يبلغ محيطه 4كم [28] .

وتنقل الينا الاخبارالتاريخية ان سامراء تعتمد في تموينها من المياه على نهرالقاطول الكسروي(والذي كان جزءا من مشروع النهروان) فقط ولكن المعتصم والمتوكل اهتما بفتح القنوات الى داخل المدينة لسقي الحدائق والبساتين [29] .

والمتوكل أجرى الماء من دجلة بقناتين تدخلان الجامع وتتخلان شوارع سامراء، ويرجع السبب الرئسي لذلك العمل هوايصال المياة للمدينة فلم تستطيع المدينة ان تقدم خدماتها لساكينها لصعوبة وضعف ايصال المياه،لذلك لم تكن بالمدينة الناجحة او الملائمة لحياة السكان [30] .

واستمر الخلفاء في البناء والعمران فعلى ضفة نهر الاسحاقي في الجانب الغربي من سامراء بنى المعتمد على الله قصر العاشق والمعروف اليوم بالمعشوق والذي تبلغ مساحته 131×96 متراً [31] .

والذي يعد من تحف الزمان في فن العمارة لما أحتواه من هندسة وابداع ،وفي سامراء آثار كثيرة غير ما ذكرنا منها : القادسية وهي قرية بين الضفة اليمنى لنهر القائم لمندرس وضفة دجلة اليسرى وهو سورمثمن من اللبن يدعمه 140 برجاً حول مساحته مثمنة الشكل طول كل ضلع من

إضلاعها 630 متراً وقطرها 1650 متراً ،والى شرق منها يقع القاطول(نهر القائم) بقايا بركة واقنية وخرائب تعرف الآن بأسم المشرحات فضلا عن سور عيسى ،وسور اشناس ويمتد من منتصف الطريق قصر الخليفة الى جامع ابي دلف وهو سور بني من اللبن ،وشيخ ولي، والكوير [32].

فلم تزل سامراء في تقدم وتوسع حتى غدت أجمل مدن العراق وبقيت دار متعة وعز وسطوة للعباسيين اكثر من خمسين عاماً ويرى الباحث أن فشل مشاريع الأرواء(*) وسوء الأحوال السياسية وكثرت الفتن الداخلية وانشغال الملوك بالحروب الخارجية والداخلية كلها أسباب أدت الى عدم قدرة المدينة على تأدية وظيفتها فانتقلت الخلافة العباسية بجميع الدواوين وأجهزة الدولة الى بغداد.

فسامراء تمتد اليوم على شاطئ دجلة الأيسر إلى نحو من ثلاثين كيلو متراً ، فهي بحق مدينة تفتخر بها الحضارة الاسلامية والتي كانت في يوم من الأيام معجزة من معجزات الإنسان في القرون الوسطى [33].

مورفولوجية مدينة الكوفه في العصر العباسي

نشأة المدينة

قد حرص المسلمون في بدء الفتوحات الإسلامية ،ان يشيدوا معسكراتهم ومدنهم في أمكنة تتصل بمركز الدولة الإسلامية في الحجاز [34] ، لايفصل بينها وبين العاصمة ماء او جسر [35] فكان من الضروري ان يتخذ الجيش الإسلامي المحارب ،نقطة ارتكاز له يستريح عندها من عناء السفر وعناء الحرب أو معسكراً ثابتاً قريبا من ميدان القتال [36] أن اختيار الكوفة لم يأتي اعتباطاً بل نتيجة فحص ودراسة فأرض الكوفة سهله عالية فوق مستوى الفيضان وأنها بعيدة عن مناطق الاهوار والمستنقعات ،ومن الجدير بالذكر ان الضفة الغربية أعلى من الضفة الشرقية بمقدار 5-6 متر [37]. وتتميز الأراضي القريبة من النهر بخصوبتها ،وحين بدا شأن الحيرة يضعف بعد ان فتحها المسلمون ، بنيت الكوفة عام(17هـ/ 638م) كحاضرة إسلامية بالقرب منها وهاجر اليها سكان الحيرة ثم اخذت بالنمو والازدهار [38] فكان الفرات إلى شرق المدينة والصحراء من جبهتها الغربية وتقع الحيرة إلى جبهتها الجنوبية الغربية والكفل من جهتها الشمالية الشرقية [39] ، ولقربها من نهر الفرات ساعد هذا الأمر في سيطرة الكوفة على الجسر القائم على نهر الفرات الذي كان الرابط التجاري المهم الذي يربط العراق وما يجاوره بالطريق التجاري أنظر الشكل(2) الذي كانت تتبعه القوافل التجارية نحو الحجاز وجنوبي الجزيرة العربية [40].

مدينة الكوفة التأريخية

فكانت النواة الأولى لمدينة الكوفة والتي ظهرت حينما استقر العسكر بقيادة سعد بن ابي وقاص فيها واتخذوا من القصب والبردي بيوتاً لهم ألا إن هذا النمط من البناء لم يثبت إمام الظروف الطبيعية فشب حريق الذي لم يبق فيها قصبه ولكي تكون أكثر تحدياً لظروف الزمن استبدل البناء بالطين واللبن ،ورفع القواعد من بنيان هذه المدينة الناشئة ،وهكذا صارت الكوفة ترسم طريقها نحو المدينة خطوة بعد خطوة وحقيقة ان تطور الكوفة يتلمس طريقه نحو شكل المدينة الثابت في امارة المغيرة بن شعبه عام 22هـ [41] .

وكان المجمع العمراني المدني لاهل الكوفة قد وزع على سبعة اقسام سكنية تسمى اسباعا وتفصل هذه الاقسام السبعة طرق رئيسية تسمى المناهج وكان عددها حيت تمصير الكوفة خمسة عشرا منهجا وهذه المناهج قد اختطت من المسجد باعتباره مركزا لها وعندما شيدت الوحدات السكنية الكوفة بالطين واللبن ومن ثم بالاجر اصبحت هذه المناهج شوارع عامة تسمى سككا عرضها يتراوح بين الثلاثين والعشرين ذراعا* تتفرع منها ازقة بعرض سبعة اذرع وكانت في الكوفة مفارق طرق للجهات الاربعة وتحوى الكوفة مقابر تعرف بهم وبرؤسائهم منها جبانة بشر وجبانة ازد وجبانة سالم وجبانة كثرة وقد لعبت مقابر الكوفة دورا مهما في الحياة السياسية إذ اتخذها افراد القبائل مراكزا للتجمع عندما يريدون التمرد أوالثورة[42].

ومدينة الكوفة كمثيلاتها من المدن الإسلامية كان المسجد وبيت المال وقصر الاماره هو أول ماأقامه سعد ابن أبي وقاص بعدها خططت المناهج من حول المسجد ثم وزعت القبائل من حول المسجد على هذه المناهج [43] . فظهرت على مسافة كيلومتر واحد شرقا تقع قصبة الجسر مركز ناحية الكوفة وهي قصبة جميلة ،فيها اسواق عظيمة وبنايات انيقة واشجار للزينة وحدائق كثيرة [44] ، أما مسجد الكوفة مربع الشكل تقريبا ألا ان اضلاعه الاربعة مختلفة الطول اختلاف قليلا فهي 116،109،116،110متراً واهم مايميز المسجد انه يحوي على العديد من الاثار

والتي مازالت قائمة ليومنا هذا فالمحراب والمصلى للامام علي(ع)والذي يقع في الرواق الضلع الجنوبي ،ولم يكن لمسجد الكوفه سور في بادئ الامر ،بل كان صحنه مكشوفا يحيط به خندق وله سقيفة يستظل بها المصلون ،ثم احيط المسجد بسور من الطين واللبن [45]

ومن مظاهر مسجد الكوفة التنور أو ما يسمى بالسفينة [46] ويعتقد أنها ارض المسجد الاولى ويتوسط المسجد وهي حفرة مثمنة الإضلاع ينزل فيها بواسطة درج منظم تعلوه عقادة مائلة ،ينتهي الدرج بساحة مكشوفة مثمنة الاضلاع وفي كل ضلع من أضلعه أيوان يفضي الى سردابين

مسقوفين تعلو جدرانها إلى ما فوق ارض المسجد بقليل فيكون مظهرها من الخارج كحوض كبير مثمن وقد سدت هذه الحفرة بالتراب حالياً [47] .

ومن مظاهر المسجد أيضا الدكة وتسمى دكة القضاء تقع في وسط المسجد وهي عبارة عن بناء مربع مرتفع قليلا عن سطح الارض كان يجلس عليه الخليفة ليلتقي بالناس والحكم بينهم كما ان هنالك بيت الطشت والذي يتكون من سرداب يمتد تحت الارض وينتهي من طرفيه بدرجين يؤديان الى مدخل ومخرج [48]

ومن الجدير بالذكر ان مسجد الكوفه يحوي على بناء اسطواني بأرتفاع 3 امتار وعرض 1.5 متر وتسمى المزولة وكانت تستخدم لمعرفة اوقات الصلاة وزوال الشمس فسميت المزولة*.

وفضلا عن مسجد الكوفة فالمدينة تحوي عدة مساجد منها مسجد غني ومسجد بني ظفر، والحمراء ومسجد جعفي ومسجد السهلة وهو من أشهرها وله مكانه مكرمة عند المسلمين ويقع المسجد في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الجامع [49] ، في ارض فضاء خالية من العمران لوقت قريب ومساحته 140×165 متر مربع وترتفع

جدرانه نحو 22متر وكل ضلع من إضلاعه الاربعه تدعمه أبراج نصف دائرية من الخارج على أبعاد متساوية وأرضية بيت الصلاة في الجهة الجنوبية من صحن المسجد مفروشة بالآجر 24×24 سم2 على طراز هندي مقسم بهيئة مستطيلات متساوية الأبعاد،والسقف فيه معقود بالآجر على شكل قباب صغيرة قائمة على دعامات تقابلها أعمدة مستطيلة من الآجر ،أما المحراب فيقع في وسط بيت الصلاة وهو يخلو من آثار الزخرفة أو الكتابة [50] .

وتعد دار الإمارة في الكوفة أقدم ما عثر عليه من عمائر إسلامية في العراق، بل أقدم دار إمارة كشف عنها حتى الآن في العالم الإسلامي [51] .

ودار الإمارة مكونة من عدد من الأبنية المنشأة احدها على بقايا الأخرى الأقدم منها فالطبقة الأولى والتي أسسها سعد ابن أبي وقاص ظهرت أسسها على عمق 90 سم والطبقة الثانية والتي بنيت في العصر الأموي وظهر لها سوران داخلي وخارجي ،أما الطبقة الثالثة وهو قصر عباسي وله سوران الخارجي من الطبقة الثانية والداخلي جديد يضم بنايات عديدة متنوعة التصاميم والإغراض شيدت على أنقاض القصر الأموي وجاءت الطبقة الرابعة بغرف شيدت بعد هدم القصر العباسي وذلك بالقسم الشمالي يرجح أنها من القرنين الثالث والرابع للهجرة والطبقة الأخيرة وهي بقايا أسس متفرقة من الآجر تقوم فوق أنقاض السور الداخلي ومرافقه [52] .

ودار الإمارة متصل بمسجد الكوفة من جهة القبلة والذي شيده بمحاذاة الضلع الجنوبي للمسجد وان طول ضلع القصر نحو 177 متر وان معدل سمك الجدران 3.60 متر إذ ومعدل قطر الأبراج 3,30 متر وعلت مكانة المدينة عندما اتخذها الخليفة الإمام علي ابن أبي طالب υ حاضرة للدولة العربية الإسلامية الفتية وكان ذلك عام (36هـ/657م) [53]، ويقع بيت الأمام علي υ على مسافة 85 متر من الجهة الجنوبية الغربية [54] .

وهو بناية صغيرة عند أول الدخول اليه يشاهد الزائربئر ماء،مازال يرتوي منه الزوار ويحوي الدار غرف صغيره وفي غرفه محراب للصلاة [55] . نمت الكوفة وأزدهرت وصارت قبلة انظار العرب ،ووصلت اوج عظمتها وتوسعها في العصر الاموي وبلغت مساحتها ستة عشر ميلا وثلثي الميل [56] .

وعلى بعد 7كم من الجنوب الشرقي من دار الامارة في الكوفة ،وجد قصر أم عُريفة والذي تم بناءه في أواخر العصر الاموي ، ويتكون من بناية داخل ساحة مربعة الشكل أبعادها 150×150 متراً تقريبا ومحاط بسور ضخم ذي جدران سميكة مشيدة من اللبن سمكها 3,50 متراً،وفي كل ضلع من اضلاع السور عدد من ابراج نصف دائرية قياسها 3 امتار [57] ،ويتوسط الضلع الجنوبي الشرقي مدخل واسع ،كما يوجد مدخل أخر في الضلع الشمالي الشرقي ،وقد برز الضلع الشمالي الغربي الى الخارج على شكل مستطيل غير تام الاضلاع يخلو من الابراج وبالقرب من البروز يقع القصرمربع الشكل ابعاده 61×61 متراً والجدران فيه سميكة مشيدة بالآجر والجص معدل سمكها 3 امتار [58] ، وهي متعامدة وموازية بعضها للاخر ،وكانت الجدران مغلّفة جميعها بنوع خاص من الآجر المطلي بدهان أزرق غامق ،وللبناء عدة مداخل من جميع جهاته يؤدي بعضها الى البعض بتصميم معقد ،ويحيط بالبناء سور خاص مربع الشكل له مدخل عرضه 1,80متراً في ضلعه الشمالي الشرقي [59] وفيها سقطت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية ،واصبحت الكوفة عاصمة الدولة الجديدة وظلت عاصمة حتى انتقل منها السفاح الى هاشمية الأنبار [60] ، والى الغرب من مسجد الكوفة تقع محلة الكناسة وهي من اشهر المحلات في العصر العباسي والتي أصبحت مركز تجاري للبيع والشراء وقد سكنتها القبائل العربية.

وفي زمن الخلافة العباسية بنيت القصور فكان قصر أبا الخصيب والذي بني على اساس قديم ، كما ازدهرت الأنشطة الصناعة فكانت صناعة النسيج وعمل العمائم الخز وصناعة العطريات [61] ، وفي خلافة المنصور احيطت الكوفة بسور وخندق لحمايتها من الغزاة [62] .

أن أوج عظمة الكوفه كانت في العصر الاموي عندما توسعت وكثر فيها العمران وبلغت مساحتها 15 كم طولا و9كم عرضاً ،وفي فترات التاريخ المختلفة كانت مدينة الكوفه مسرحا لهجمات عدة جعلها تتضاءل والعامل الثاني والذي قلل من أهميتها عندما بنى الحجاج مدينة واسط وبنى المنصور مدينة بغداد وبالرغم من كل ذلك بقيت الكوفة مركزا عسكريا وثقافياً مهما[63] . ومازالت مدينة الكوفه تقدم خدماتها لسكانها ولزوارها من مختلف البقاع.

الخلاصة:

جاء هذا البحث صورة واضحة لحضارة عريقة امتدت عدة قرون ووضعت بصماتها الواضحة والبارزة للعيان من خلال ماتركته لنا المدن الاسلامية والتي تميزت عن غيرها بهندستها وفنون عماراتها والتي اتخذت طابعا خاصاً يظهر فيه جانب الابداع الفكر العربي الاسلامي ،وتناول البحث مدينتين عراقيتين فالأولى سامراء المدينة التي بنيت بعد نضج ورقي الأبهة العربية الاسلامية الممتدة من المحيط الأطلسي الى المحيط الهادي فنشأة وتطورت في العصر العباسي وقدمت خدماتها لـ55 عام وانتهى دورها لتبقى آثاراً شاهداً للعيان ولحضارة الاسلام، مميزة بأصالتها .

والثانية مدينة الكوفة والتي نشأة على انقاض مدينة الحيرة لتكون معكسر للجيوش الاسلامية ونمت وأزدهرت وتطورت واستمرت لتأخذ دورها كمدينة عربية اسلامية مازالت تقدم خدماتها الى سكانها وزائريها الى يومنا هذا وستستمر الى الابد إذا أحيى مجدها الاصلاء من العراقيين العرب المسلمين لتكون نبض فكر الجزيرة العربية الاسلامية.

الهوامش :

(1) محمد مدحت جابر ،جغرافية العمران الريفي والحضري،مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الثانية،2006،ص297.

(2) ابن الأزرق،بدائع السلك في طبائع الملك:تحقيق وتعليق علي سامي النشار ،سلسلة كتب التراث(53)،الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة والفنون،العراق،1978،ص273.

(3) احمد سوسة،ري سامراء في عهد الخلافة العباسية،الجزء الأول،مطبعة المعارف،بغداد،1948،ص47.

(4) مصطفى عباس الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية،بغداد،1982،ص148.

(5) محمد مدحت جابر ،مصدر سابق،ص202.

(6) نفس المصدر ،ص206.

(7) شريف يوسف،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ،دار الرشيد،1982،ص319.

(8) طه باقر ،فؤاد سفر ،المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة(المرحلة الثانية بغداد–سامراء–الحضر)،وزارة الأرشاد،مديرية الفنون والثقافة الشعبية،1962،ص12.

(9) شريف يوسف،مصدر سابق،ص321.

(10) مجلة سومر،مديرية الآثار العامة،1938،ص24.

(11) كاظم الدجيلي،نظرة عامة في سامراء،مجلة لغة العرب،المجلد الأول،1911،ص85.

(12) نفس المصدر،ص86.

(13) احمد سوسة،مصدر سابق،ص49.

(14) نـداء نجـم الـدين احمد،دراسـة عمرانيـة اقتصـادية اجتماعيـة لمدينـة سامراء،رسـالة ماجسـتير،مركز التخطـيط الجضـري والاقليمي،جامعة بغداد،1985،ص52.

(15) جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة،قسم سامراء،الجزء الاول،دار التعارف،بغداد،1965،ص80.

(16) مصطفى عباس الموسوي،مصدر سابق،ص151.

(17) طه باقر،مصدر سابق،ص16.

(18) عيسى سلمان،العمارات العربيةالاسلامية في العراق،دار الرشيد،1982،ص19.

(19) نفس المصدر،ص22.

(20) طه باقر،مصدر سابق،ص18.

(21) شريف يوسف،مصدر سابق،ص332.

(22) نفس المصدر،ص335.

(23) عبد الرزاق الحسني،العراق قديماً وحديثاً،الطبعة السادسة،بيروت،مطبعة دار الكتب،1980،ص112.

(24) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص82.

(25) اوسكار رويتر،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،ترجمة محمود كبيبو ،دار الورق،لندن،2006،ص58-60.

(26) احمد سوسة،مصدر سابق،ص139.

(27) عبد الرزاق الحسني،مصدر سابق،ص120.

(28) نفس المصدر،ص123.

(29) مصطفى عباس،مصدر سابق،ص176.

(30) عبد الرزاق الحسني،مصدر سابق،ص124.

(31) شريف يوسف،مصدر سابق،ص338.

(32) نفس المصدر،ص113.

*تجدر الاشارة الى ان مشروع نهر الرصاصي مشروعاً فاشلاً بسبب خطأ فني(أنظر احمد سوسة،ري سامراء ،الفصل الاخير).

(33) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص85.

(34) جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة،الجزء الأول،قسم كربلاء،دار التعارف،بغداد،1966،ص9.

(35) نفس المصدر،ص10.

(36) مصطفى عباس،مصدر سابق،ص33 .

(37) نفس المصدر ،ص35.

(38) محسن عبد الصاحب المظفر،مدينة النجف الكبرى (دراسة في نشأتها وعلاقاتها الأقليمية)رسالة ماجستير،كلية الآداب، جامعة بغداد،1975،ص12.

(39) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص11.

(40) محسن عبد الصاحب،مصدار سابق،ص21.

(41) محسن عبد الصاحب،مصدر سابق،ص25.

*الثلاثين ذراع=15مترا،العشرين ذراع=10متر

(42) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص23.

(43) خالص حسني الأشعب،المدينة العربية والوظائف البنيوية والتخطيط ،مطبعة الفليح،الكويت، 1984، ص42.

(44) شريف يوسف،مصدر سابق،ص31.

(45) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص33.

(46) عباس القمي،مفاتيح الجنان،مؤسسة الأعلى للمطبوعات ،بيروت،1998،ص447.

(47) الدراسة الميدانية.

(48) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص33.

* المزولة :عصا مستقيمة أو شيء شاخص ينصب على سطح أفقي ويكون لها ظل يتغير بتغيرمسار الشمس،وتتحد ساعة من طول ظل العصا ،الذي يكون أقصر مايمكن عند الظهيرة.إنظر:عدنان سمور،موسوعة الفلك ،دار دجلة،2008،ص106.

(49) جعفر الخليلي،مصدر سابق،ص43.

(50) جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة،مصدر سابق،ص(41-45).

(51) دليل العتبات والمزارات والمشاهد الدينية في العراق،ديوان الوقف الشيعي ، بغداد، مكتب دجلة للطباعة، 2006، ص10-11.

(52) رؤوف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية ، مؤسسة الصالحاني، دمشق، 1998، ص46.

(53) شريف يوسف،مصدر سابق،ص36-37.

(54) الدراسة الميدانية لمدينة الكوفه بتاريخ 12-11-2010.

(55) الدراسة الميدانية.

(56) سليمان عيسى،مصدر سابق،ص26.

(57) نفس المصدر،ص28.

(58) فريال مصطفى،البيت العربي في العصر الأسلامي،بغداد،1983،ص44.

(59) نفس المصدر،ص47.

(60) نفس المصدر،48.

(61) ماجد عبد الكريم،العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري لمدينة النجف الأشرف،الأردن، دار دجلة، 2010، ص121.

(62) نفس المصدر،ص164.

(63) جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة، مصدر سابق،ص98.

المصادر:

1- ابن الأزرق،بدائع السلك في طبائع الملك:تحقيق وتعليق علي سامي النشار،سلسلة كتب التراث(53)،الجزء الثاني،منشورات وزارة الثقافة والفنون،العراق،1978.

2- احمد سوسة،ري سامراء في عهد الخلافة العباسية،الجزء الأول،مطبعة المعارف،بغداد،1948.

3- اوسكار رويتر،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،ترجمة محمود كبيبو ،دار الورق،لندن،2006.

4- جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة،الجزء الأول،قسم كربلاء،دار التعارف،بغداد،1966.

5- ـ،موسوعة العتبات المقدسة،قسم سامراء،الجزء الاول،دار التعارف،بغداد،1965.

6- خـالص حسـني الأشـعب،المدينة العربيـة والوظـائف البنيويـة والتخطـيط ،مطبعـة الفليح،الكويت،1984.

7- دليل العتبات والمزارات والمشاهد الدينية في العراق،ديوان الوقف الشيعي ،بغداد،مكتب دجلة للطباعة،2006.

8- رؤوف محمـد علـي الأنصـاري، عمـارة كـربلاء دراسـة عمرانيـة وتخطيطيـة ،مؤسسـة الصالحاني،دمشق،1998.

9- شريف يوسف،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور،دار الرشيد،1982.

10- طـه بـاقر،فؤاد سفر،المرشـد إلـى مـواطن الآثـار والحضـارة(المرحلة الثانيـة بغـداد-سـامراء-الحضر)،وزارة الأرشاد،مديرية الفنون والثقافة الشعبية،1962.

11- عباس القمي،مفاتيح الجنان،مؤسسة الأعلى للمطبوعات ،بيروت،1977.

12- عبد الرزاق الحسني،العراق قديماً وحديثاً،الطبعة السادسة،بيروت،مطبعة دار الكتب،1980.

13- عيسى سلمان،العمارات العربيةالاسلامية في العراق،دار الرشيد،1982 .

14- **فريال** مصطفى،البيت العربي في العصر الأسلامي،بغداد،1983.

15- كاظم الدجيلي،نظرة عامة في سامراء،مجلة لغة العرب،المجلد الأول،1911.

16- ماجد عبد الكريم،العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري لمدينة النجف الأشرف،الأردن،دار دجلة،2010.

17- مجلة سومر،مديرية الآثار العامة،العدد الثالث عشر،1938.

18- محسن عبد الصاحب المظفر،مدينة النجف الكبرى (دراسة في نشأتها وعلاقاتها الأقليمية)رسالة ماجستير،كلية الآداب،جامعة بغداد،1975.

19- مصطفى عباس الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية،بغداد،1982.

20- محمـد مـدحت جابر،جغرافيـة العمـران الريفـي والحضـري،مكتبة الأنجلـو المصـرية،الطبعة الثانية،2006.

21- نداء نجم الدين احمد،دراسة عمرانية اقتصادية اجتماعية لمدينة سامراء،رسالة ماجستير،مركز التخطيط الحضري والاقليمي،جامعة بغداد،1985.

22- الدراسة الميدانية لمدينة الكوفة بتاريخ 12-11-2010.

23- ابـن الأزرق،بـدائع السـلك فـي طبـائع الملـك:تحقيق وتعليـق علـي سـامي النشار،سلسـلة كتـب التراث(53)،الجزء الثاني،منشورات وزارة الثقافة والفنون،العراق،1978.

24- احمد سوسة،ري سامراء في عهد الخلافة العباسية،الجزء الأول،مطبعة المعارف،بغداد،1948.

25- اوسكار رويتر،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،ترجمة محمود كبيبو ،دار الورق،لندن،2006.

26- جعفر الخليلي،موسوعة العتبات المقدسة،الجزء الأول،قسم كربلاء،دار التعارف،بغداد،1966.

27- ـــ،موسوعة العتبات المقدسة،قسم سامراء،الجزء الاول،دار التعارف،بغداد،1965.

28- خالص حسني الأشعب،المدينة العربية والوظائف البنيوية والتخطيط ،مطبعة الفليح،الكويت،1984.

29- دليل العتبات والمزارات والمشاهد الدينية في العراق،ديوان الوقف الشيعي ،بغداد،مكتب دجلة للطباعة،2006.

30- رؤوف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية ،مؤسسة الصالحاني،دمشق،1998.

31- شريف يوسف،تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور،دار الرشيد،1982.

32- طه باقر،فؤاد سفر،المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة(المرحلة الثانية بغداد-سامراء-الحضر)،وزارة الأرشاد،مديرية الفنون والثقافة الشعبية،1962.

33- عباس القمي،مفاتيح الجنان،مؤسسة الأعلى للمطبوعات ،بيروت،1977.

34- عبد الرزاق الحسني،العراق قديماً وحديثاً،الطبعة السادسة،بيروت،مطبعة دار الكتب،1980.

35- عيسى سلمان،العمارات العربيةالاسلامية في العراق،دار الرشيد،1982 .

36- **فريال** مصطفى،البيت العربي في العصر الأسلامي،بغداد،1983.

37- كاظم الدجيلي،نظرة عامة في سامراء،مجلة لغة العرب،المجلد الأول،1911.

38- ماجد عبد الكريم،العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري لمدينة النجف الأشرف،الأردن،دار دجلة،2010.

39- مجلة سومر،مديرية الآثار العامة،العدد الثالث عشر،1938.

40- محسن عبد الصاحب المظفر،مدينة النجف الكبرى (دراسة في نشأتها وعلاقاتها الأقليمية)رسالة ماجستير،كلية الآداب،جامعة بغداد،1975.

41- مصطفى عباس الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية،بغداد،1982

42- نداء نجم الدين احمد،دراسة عمرانية اقتصادية اجتماعية لمدينة سامراء،رسالة ماجستير،مركز التخطيط الجضري والاقليمي،جامعة بغداد،1985،ص52.

43- محمد مدحت جابر،جغرافية العمران الريفي والحضري،مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الثانية،2006.

44- الدراسة الميدانية لمدينة الكوفة بتاريخ 12-11-2010.